مجلّة
اللّغة العربيّة وآدابها
رقم الإيداع القانوني: 2013-8004 ISSN: ر.د.م.د: 2352-9830

الاحتجاج بالحديث الشريف عند الحريري في درة الغواص

Al-Hariri Reliance on Hadith as Evidence in Durrat Al-Ghawas

د. موسى أبو جليدان
الجامعة الإسلامية - غزة- فلسطين

تاريخ الإرسال : 2018/04/24 تاريخ القبول:18 /2018/05

الملخص:

قام هذا البحث بتتبع الاحتجاج بالحديث النبوي عند الحريري في درة الغواص، ولقد بدأ بترجمة الحريري، ونبذة عن الكتاب، وشواهد السماع عند الحريري، ومنزلة السماع بين الأصول النحوية، وموقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي، ثم مواضع الاحتجاج بالحديث في كتاب درة الغواص، ومنهج الحريرى في الاحتجاج بالحديث النبوي، ثم خُتم البحث بجملة من النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية:

الحريري، درة الغواص، الاحتجاج بالحديث الشريف.

Abstract :

This research examines Al-Hariri reliance on hadith as evidence in Durrat Al-Ghawas. The research examined the biography of Al-Hariri, a summary of the book, Al-Hariri earwitnesses and the view of grammarians on reliance on hadith as evidence. The researcher then explored the places in the book where Al-Hariri relied on hadith as evidence and concluded the research with findings and recommendations.

Keywords: Al-Hariri Durrat Al-Ghawas, reliance on hadith as evidence

*** *** ***

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله على نعمة الخلق والإيجاد، والرزق والإمداد، والهداية والإرشاد، فمننه علينا لا تحصى، وآلاؤه لا تستقصى، والصلاة والسلام على من علم المتعلمين، وزرع الأمل في قلوب اليائسين، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، وعلى آله وأصحابه السادة الأبرار، والثلة الأطهار، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد:

فقد حفل تراثنا العربي بثروة هائلة من العلوم والمعارف والآداب، بقيت منهلاً عذباً يغترف منه الأساتذة والطلاب، وتهوي إليه الأفئدة وتستنير به الألباب، وحظيت الدراسات الإنسانية بحظ وفير، وقسط كبير من هذا الميراث العاطر، ونالت اللغة العربية النصيب الأكبر من هذه الجهود المبرورة، ولا تزال...، ولقد شرفت بالاطلاع على كتاب لغوي قيم بعد أن هداني إليه، ودلني عليه أحد إخواني مشكوراً، وهو كتاب: (درة الغواص في أوهام الخواص) للعالم اللغوي الحريري (ت516هـ)، فهالني عرضه الخلاب، وترتيبه الجذاب، وشدَّني مؤلفه الشهير، بما عنده من إحاطة واسعة وعلم غزير، ورأيته يستشهد في تخطئته الخواص بشواهد من القرآن والسنة وكلام العرب شعراً ونثراً، ويعتمد على السماع اعتماداً كبيراً؛ فأحببت أن أبحث في جانب أقدر على الإلمام به في هذه الدراسة الوجيزة، ثم قررت أن أتناول استشهاده بالحديث النبوي الشريف، للتعرف على ما حدث من سجال في ساحتنا النحوية قديماً وحديثاً حول الاحتجاج بالحديث في اللغة والنحو العربي، ولقد اتبعت المنهج الوصفي الإحصائي في هذا البحث، والذي سأتعرض فيه للحريري رحمه الله ولكتابه الممتع بالترجمة والتعريف والبيان، ثم سأدلف إلى الحديث عن السماع وضوابطه وهو الأصل الأصيل في الاستدلال النحوي عند جمهور النحاة ، وما الحديث إلا فرع من فروعه، ورافد من روافده، وسأذكر بعد ذلك آراء العلماء في الاحتجاج بالحديث، وهذا سيذلل المسار من أجل رصد القضايا التي احتجَّ فيها بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفي الخاتمة سأعرض بعضاً من النتائج والتوصيات، والتي تنفع-إن شاء الله- الباحثين فيما هو آت، والله يتولى الأمر وبعونه وحده تتم الصالحات.

ترجمة الحريري

- **اسمه ونسبه:-**

هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحريري، صاحب المقامات[1]، ونسب إلى عمل الحرير، أو بيعه، وكان ينسب إلى ربيعة الفرس[2].

- **مولده ونشأته:-**

ولد بقرية المشان من عمل البصرة، فنشأ وترعرع فيها، واستقى علمه من ينابيعها، وهي بليدة فوق البصرة كثيرة النخل، موصوفة بشدة الرخم، وكان أهل الحريري منها، ويقال إنَّه كان له فيها ثمانية عشر ألف نخلة، وأنه كان من ذوي اليسار[3]، وله من الذرية ولدان، النجم عبد الله، وضياء الإسلام عبيد الله قاضي البصرة[4].

- **مؤلفاته:-**

للحريري غير درة الغواص مؤلفات كثيرة في اللغة والأدب ومن أشهر هذه المصنفات[5]:

1- المقامات الحريرية، (مقامات أبي زيد السروجي).
2- منظومة ملحة الإعراب وشرحها.

- **وفاته:-**

ظل الحريري في البصرة موضع التقدير ، وارتفعت منزلته بالمقامات، وتوفي في السادس من رجب في السنة السادسة عشرة بعد الخمسمائة.

كتاب درة الغواص في أوهام الخواص

سبب تأليفه:-

ألف الحريري كتابه ليكشف به عن اللحن، وما توهمت به الخاصة من أهل الأدب في العربية، كما بين ذلك في مقدمة كتابه[6]، وأنه بهذا الكتاب يريد أن يبين أغلاط الكتاب فيما يستعملونه من الألفاظ والعبارات بغير معناه وفي غير موضعه، وفي الوقت نفسه يبين الاستعمال الصحيح[7].

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

فلحن الخاصة الذي نبه إليه الحريري هو مصطلح ينطبق على قليل من أمثلة اللحن التي تفرد بها الخواص[8]، قياساً مع لحن العامة الذي تسرب إلى مصنفات الخواص من أهل اللغة، فمن هنا وجد مصطلح لحن الخاصة الذي تسرب من كلام العامة إلى الخواص من أهل اللغة والأدب، و لقد جمع الحريري في الدرة مائتين واثنتين وعشرين مسألة لغوية[9] سعياً إلى المقصود، وطلباً لهدفه المنشود.

سبب تسميته لكتابه بهذا الاسم

كان الحريري بارعاً في اختيار تسمية الكتاب، فدرة بمعنى اللؤلؤة العظيمة الكبيرة[10]، فكأنه قصد بيان الشيء النفيس من أسرار العربية ودقائقها لمن أراد أن يتبحر في علوم اللغة وآدابها، فهذا الكتاب هو الجوهرة النفيسة، واللؤلؤة المكنونة ، التي يتطاير منها شعاع المعرفة بسرائر العربية ، فالمدقق للنظر يجد أن المؤلف لديه إحساس لغوي مرهف في عنونته لكتابه، فهو أبدع في اختياره لعنوان هذا السفر على صغر حجمه، فاستخدم المجاز في الغواص، واستخدم السجع في الغواص، والخواص، والسجع وصف لظاهرة صوتية إيقاعية[11]، وهو يلفت الانتباه عند سماعه.

الشواهد في درة الغواص

1. **القرآن الكريم .**

لقد استشهد الحريري في كتابه درة الغواص بالآيات القرآنية في **مائة موضع وواحدٍ وتسعين موضعاً**.

2. **الأحاديث النبوية .**

لقد استشهد الحريري في كتابه درة الغواص بالأحاديث النبوية في **ثمانية وثلاثين موضعاً**، وورد حديثان آخران ليسا في سياق الاحتجاج والاستدلال .

3. **الشعر العربي .**

لقد استشهد الحريري في كتابه درة الغواص ، بالشواهد الشعرية في **مائتين واثنين وخمسين موضعاً.**

4. **الأمثال العربية:** واستشهد بها في **ستة وثلاثين موضعاً**.

السماع عمدة الأصول في الاستدلال النحوي

إن السماع عند النحاة هو المصدر الأول من مصادر الاستدلال، لا يقدم غيره عليه في وجوده، يقول ابن جني(ت392هـ): " واعلم أنك إذا أداك القياس إلى شيء ما ، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه"[12]

وابن الأنباري(ت577هـ) يعبر عن السماع بالنقل، لأن المنقول يشمل ذلك المسموع من العرب مباشرة، وكذلك المنقول عن طريق الرواية عنهم[13]، إذ يقول عن النقل: " إنه الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حد القلة إلى الكثرة"[14] ، والسيوطي يزيد الأمر دقة حين يقول: " ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته ، فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن ، وكلام نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده، إلى زمن فسدت الألسنة بكثرة المولدّين نظماً ونثراً عن مسلم أو كافر. فهذه ثلاثة أنواع لابد في كل منها من الثبوت "[15].

والصواب أن كل ما ثبت نقله يقبل سواء كان مطرداً أم شاذاً، كثيراً أم قليلاً[16]، وشرط الاطراد سار عليه البصريون فأهدروا الكثير من الشواهد، ولحنوا بعض العرب في أقوالهم إذ لم تجر على أقيستهم، وأما الكوفيون فأجازوا للناس أن يستعملوا استعمالهم ولو كان استعمالهم لا ينطبق على القواعد العامة، بل يجعلون هذا الشذوذ أساساً لوضع قاعدة عامة[17].

ويعتذر الدكتور عبد العال سالم مكرم للنحاة الذين رأوا الاطراد في المسموع شرطاً فيقول: " إن الباني للقواعد يحاول دائماً أن تكون قواعده مطردة، لذا كان المنهج يحتم عليه أن يبني قواعده على الأكثر، وما خالف هذه القواعد سمي لغات، وليست هذه اللغات موضع شك واتهام؛ ولكنها خرجت عن مستوى الكثرة فلا تقام عليها قاعدة؛ لأن من شأن القاعدة دائماً أن تحاط بالاطراد الذي يحميها من الخلل، ويحفظها من الاضطراب"[18].

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

ولا ضير أن أقول بعد هذا العرض لاختلاف العلماء أن الاطراد معيار نفاضل به بين المواد المسموعة، والشواهد المنقولة، وما ينبغي أن يكون شرطاً من شروط السماع، ولقد جاءت أحاديث نبوية شريفة هي من أصول الدين، كحديث النيات الذي رواه عمر رضي الله عنه وهو في البخاري ومسلم، ولكنه روي من طريق واحد، وكذلك أحاديث تعلقت بعقيدة عذاب القبر، وأحداث آخر الزمان، ونحن نسلم بها ونعتقد بصحة ما نقل فيها، والشاذ يستشهد به في مثل موضعه ولا يقاس عليه، ويحتج بالمجمع، ويحتج كذلك بالمجمع على وروده أكثر من الذي قل ناقلوه، ولذا قال السيوطي(ت911ه) في الاقتراح: " القياس في ذلك الوارد بعينه، ولا يقاس عليه "[19] ، ويعني بذلك الشاذ.

الاحتجاج بالحديث وموقف النحاة منه

لقد وقف النحويون القدماء من الحديث الشريف والاحتجاج به موقفاً متصلباً عنيداً، فما كانوا يقبلون نقاش القضية ولا التصريح بالقبول أو الرد، وإن جاءوا بحديث أوردوه على استحياء وإخفات، دون تصريح وإثبات، ومن هؤلاء المانعين بشدة: ابن الضائع (ت680ه)، وأبو حيان الأندلسي (ت 745ه)، والسيوطي (ت911ه)، حتى قال الشاطبي معلقاً على هذا المنع: "ولم نجد أحداً من النحويين استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم الذين يبولون على أعقابهم، وأشعارهم التي فيها الفحش والخنا، ويتركون الأحاديث الصحيحة؛ لأنها تنقل بالمعنى وتختلف روايتها وألفاظها بخلاف كلام العرب وشعرهم، فإن رواته اعتنوا بألفاظه لما يبنى عليها من النحو، ولو وقفت على اجتهادهم قضيت منه العجب" [20]

وأما المذهب الثاني فهو مذهب المتوسطين، وكان الشاطبي (ت790ه) من أبرز هؤلاء، حيث يرى جواز الاحتجاج بالأحاديث التي اعتني بنقل ألفاظها لمقصود خاص، كالتي قصد بها بيان فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم، وكالأمثال النبوية، ولا يجوز الاحتجاج بالأحاديث التي اعتنى رواتها بالمعنى لا باللفظ[21] ، وقد تبع الشاطبي أبا حيان في نفيه احتجاج أحد من النحاة الأوائل بالأحاديث.

وأما الفريق الثالث وهم المجوزون مطلقاً فيقف على رأسهم ابن مالك(ت672هـ)، والدماميني(ت827هـ)، وابن الصلاح(ت643هـ)، والرضي الاستراباذي(ت686هـ) وابن الطيب المغربي(1170هـ)، ويعد ابن مالك رافع لواء الاستشهاد بالحديث، وعنه يقول الدكتور مغالسة: "ولعل إفراط ابن مالك في الاستشهاد بالحديث إفراطاً شديداً هو الذي أثار قضية الاحتجاج بالحديث ، وأوهم النحاة في عصره وبعد عصره أنه خرج على سنة الأولين ، وأنه شق مذهباً جديداً لا سابق له، وجعلهم يحاولون كد عقولهم لمطالعة الناس بفتاوى وآراء"[22]

والمسألة بقيت على حالها إلى يوم الناس هذا، ولكن الأمر أهون وأيسر إذا تعلق باللغة لا بالنحو، فالاستشهاد بالحديث في القضايا اللغوية قد يكون آمناً من النكير والتنديد، وأبعد حتماً عن الجمود والتشديد، والقضية التي اتخذها البحث ميداناً للدراسة، جل مسائلها في اللغة لا في النحو، وفي ذلك ما يغري بالتوغل مع الاستئناس بمظاهرة الأكثرين قديماً وحديثاً.

"الاحتجاج بالحديث عند الحريري في درة الغواص

سكت النحاة الأوائل -كما بينا- عن الاستشهاد بالحديث إلا ما ندر، حيث "اكتفوا بما عندهم من شواهد شعرية وقرآنية غنية عن تلمس النصوص في الحديث النبوي" [23]، وإذا أوردوا الأحاديث في مصنفاتهم – وذلك قليل نادر- فإنما يراد به الاستئناس لا الاحتجاج، إذ لا يعتدون به مصدراً من مصادر الاحتجاج، بل باعتباره كلاماً وارداً عن العرب لا تنقض به قاعدة، ولا يقرر به أصل.

وابن جني الذي قيل إنَّه كان يستشهد بالحديث ويحتج به قال عنه السامرائي: "لم أره مرة جعل حديثاً أصلاً يرجع إليه في تقرير قاعدة أو إثبات نص لغوي ، وإنما يورد في النادر حديثاً للاستئناس به أو للاستشهاد به ، في ما لم يرد قاعدة أو يقرر أصلا جديداً[24] .

والحريري في درة الغواص استشهد بالحديث واحتج به في مسائل اللغة ثمانياً وثلاثين مرة، وهي :

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

1- خطَّأهم في استعمال (سائر) بمعنى جميع، وهو بمعنى الباقي في كلام العرب، فقال: "والدليل على صحة ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لغيلان حين أسلم وعنده عشر نسوة : (اختر أربعاً منهن وفارق سائرهن)[25] ، أي من بقي بعد الأربع"[26].

2- وفي المسألة نفسها يقول: "لإجماع أهل اللغة على أن معنى الحديث (إذا شربتم فاسئروا)[27] أي أبقوا في الإناء بقية ماء"[28].

3- وفي المسألة نفسها يقول: "ومنه ما جاء في حديث أم زرع عن التي ذمت زوجها فقالت: (إن أكل لف، وإن شرب اشتف)[29] أي تناهى في الشرب"[30].

4- قال الحريري: "وجاء في الأخبار المأثورة أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا انتقل من صلاة الصبح قال لأصحابه: (هل فيكم من رأى رؤية في ليلته)[31] ، وقد ضرب المثل في المتشابهين فقيل: ما أشبه الليلة بالبارحة"[32].

5- وفي أسلوب التحذير يقول: "ويقولون في التحذير: إياك الأسد إياك الحسد، ووجه الكلام إدخال الواو على الأسد والحسد، كما قال النبي صلى الله عليه سلم: (إياك ومصاحبة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد، ويبعد عنك القريب)[33] ، وكما قال الشاعر....."[34].

6- وفي تصحيح لفظة (تمغر) إلى (تمعر) يقول: "ذكر ذلك ثعلب، واستشهد عليه بما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن الله عز وجل أمر جبريل عليه السلام بأن يقلب بعض المدائن فقال: يا رب إن فيها عبدك الصالح، فقال: يا جبريل ابدأ به، فإنه لم يتمعر لي وجهه قط[35]، أي لم يغضب لأجلي، فرواه بالعين المهملة"[36]

7- وفي التفريق بين اصفرَّ واصفارَّ يقول: "إنما يقال اصفر واحمر ونظائرهما في اللون الخالص الذي قد تمكن واستقر وثبت واستمر، فأما إذا كان اللون عرض لسبب يزول، ومعنى يحول فيقال فيه اصفار واحمار؛ ليفرق بين اللون الثابت، والمتلون العارض، وعلى هذا جاء في الحديث[37] (فجعل يحمارُّ مرة ويصفارُّ أخرى)"[38].

8 ،9- في تخطيئه (شوشت) وتصويبها (بهوشت) يقول: "والصواب أن يقال فيه (هوشت) وهو مهوش لأنه من الهوش وهو اختلاط الشر، ومنه الحديث (إياكم وهوشات

الأسواق)[39]، وجاء في خبر آخر: (من أصاب مالاً من مهاوش أذهبه الله في نهابر)[40]، يعني بالمهاوش التخليط، وبالنهابر المهالك"[41].

10، ،11، 12- وفي الألفاظ التي يراعى فيها حكم الموازنة، وتعديل المقارنة قال الحريري: "فروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للنساء المتبرزات في العيد: (ارجعن مأزورات غير مأجورات)"[42]، وقال في عوذته للحسن والحسين كرم الله وجههما : (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة)[43]، والأصل في مأزورات موزورات لاشتقاقها من الوزر، كما أن الأصل في لامة ملمة لأنها فاعل من ألمت، إلا أنه صلى الله عليه وسلم قصد أن يعادل بلفظ مأزورات لفظ مأجورات، وأن يعادل بلفظ لامة لفظتي هامة وتامة، ومثله قوله عليه السلام: (من حفنا أو رفنا فليقتصد)[44]،...، وكان الأصل أتحفنا فأتبع حفنا رفنا"[45].

13- وفي الفرق بين أصماه وأنماه قال الحريري: "يقال رمي الصيد فأصماه إذا قتله مكانه، ورماه فأنماه إذا غاب عن عينيه ثم وجده ميتاً، وفي الحديث أن رجلاً أتاه عليه السلام فقال: إني أرمي الصيد فأصمي وأنمي، فقال له: (ما أصميت فكل، وما أنميت فلا تأكل)[46]، وإنما نهاه عن أكل ما أنماه لجواز أن يكون مات من غير مرماه"[47] .

14- وفي تفسير (تربت يداك) يقول: "قولهم للشاعر المفلق قاتله الله، وللفارس المحرب لا أب له، وعلى هذا فسر أكثرهم قوله صلى الله عليه وسلم لمن استشاره في النكاح: (عليك بذات الدين تربت يداك)[48]، وإلى هذا المعنى أشار القائل بقوله...."[49] .

14- وفي الفرق بين التفل والنفث قال الحريري: "فالتفل ما صحبه شيء من الريق، والنفث النفخ بلا ريق، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)[50]، ونظير هذا التصحيف قولهم...."[51] ، والنفث في الحديث يختلف عن التفل إذ لا ريق فيه.

15- يقول الحريري في الفرق بين الريح والرياح: "وذكر أهل التفسير أنه لم يأت في القرآن لفظ الأمطار ولا لفظ الريح إلا في الشر، كما لم يأت لفظ الرياح إلا في الخير.... وهذا هو

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

معنى دعائه عليه السلام عند عصوف الريح: (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً)[52] ، وأخبرني أبو القاسم إبراهيم.... عن ابن عباس رحمه الله قال: هاجت ريح أشفق منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استقبلها وجثا على ركبتيه ومد يديه إلى السماء ثم قال: (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً ، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً)"[53] .

16- التعبير عن الرضاعة بالملح حيث قال: "ويقولون في ضمن أقسامهم: وحق الملح إشارة إلى ما يؤتدم به.....، هو الرضاع لا غير، والدليل عليه قول وفد هوازن للنبي صلى الله عليه وسلم: (لو كنا ملحنا للحارث أو للنعمان لحفظ ذلك فينا)[54] ، أي لو أرضعنا له"[55] .

وهذا القول وإن دون في كتب السنة إلا أنه ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم، بل من كلام غيره ممن عاصروه، وقولهم يحتج به النحاة.

17- وعن الوهم في قولهم (نقل فلان رحله) يريدون المتاع والأثاث والآلات قال الحريري: "وهو وهم ينافي الصواب، ويباين المقصود به في لغة العرب إذ ليس في أجناس الآلات ما يسمونه رحلاً إلا سرج البعير...، وإنما رحْل الرجل منزله بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: (إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال)[56] ، أي صلوا في منازلكم"[57] .

18، 19- وفي تفضيل ظل على فيء قال الحريري: "ويقولون جلست في فيء الشجرة، والصواب أن يقال في ظل الشجرة كما جاء في الأثر....عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام فما ينقطع، اقرؤا إن شئتم**{وَظِلٍّ مَّمْدُود}[الواقعة:30]**)[58]، والعلة فيما ذكرناه أن الفيء سمي بذلك لأنه فاء عند زوال الشمس من جانب إلى جانب... ومعنى الظل الستر، ومنه اشتقاق المظلة...فأما قوله عليه السلام: (والسلطان ظل الله في الأرض)[59] فالمراد به ستره السابغ على عباده"[60].

20- ويعلق الحريري على لحن العرب في (سداد) فيقول: "ويقولون هو سداد من عوز فيلحنون في فتح السين كما لحن هشيم...عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز)[61]، فأورده بفتح السين"[62] .

21- وفي الفرق بين رق ورك واستخداماتها قال الحريري: "ويقولون اقطعه من حيث رق، وكلام العرب اقطعه من حيث رك أي من حيث ضعف...، وفي الحديث: (إن الله تعالى ليبغض السلطان الركاكة أو الرككة)[63]، ويقولون لمن تعب..."[64].

22- وفي استخدامهم (أخطأ) في التعمد يقول: "ويقولون لمن يأتي الذنب متعمداً قد أخطأ، فيحرفون اللفظ والمعنى، لأنه لا يقال أخطأ إلا لمن لم يتعمد الفعل...، وإياه عنى عليه الصلاة والسلام بقوله: (إذا اجتهد الحاكم فأخطأ، فله أجر)[65]، وإنما أوجب له الأجر على اجتهاده.."[66].

23- وفي حديثه عن وطاءة القضاة المتقشفين للمستفتين قال: "حكي أن حامد بن العباس سأل علي بن عيسى...، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (استعينوا في الصناعات بأهلها)[67]، والأعشى هو المشهور بهذه الصناعات في الجاهلية"[68].

وهذا الحديث لم يأت دليلاً على مسألة من مسائل اللغة بل جاء في سياق قصة كما رأيت ولقد ذكرناه من باب الاتيان على الأحاديث كلها للحكم عليها في نهاية البحث.

24- وفي جمع خضراء على خضر، وتخطئة من جمعها على خضراوات يقول الحريري: "ويقولون في جمع بيضاء وسوداء وخضراء بيضاوات وسوداوات وخضراوت، وهو لحن فاحش؛ لأن العرب لم تجمع فعلاء التي هي مؤنث أفعل بالألف والتاء بل جمعته على فعل....، فأما قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس في الخضراوات صدقة)[69]، فالخضراء هنا ليست صفة وإنما هي اسم جنس للبقلة"[70]

25- وفي لحنهم بقولهم (ها) والصواب (هاء) يقول الحريري: "ويقولون لمن يناول الشيء ها بقصر الألف، فيلحنون فيه لأن ألفه ممدودة كما جاء في الحديث: (الذهب بالذهب ربا إلا هاء وهاء)[71]، ويجوز فيه فتح الهمزة وكسرها مع مد الألف في كلتيهما"[72].

26- وفي الفرق بين افترقت وتفترق يقول: "ويقولون تفرقت الأهواء والآراء، والاختيار في كلام العرب أن يقال في مثله: افترقت كما جاء في الخبر: (تفترق أمتي كذا وكذا فرقة)[73]، أي تختلف، وأما لفظة التفرق فتستعمل في الأشخاص والأجسام"[74].

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

27- وفي معنى (راح) يقول: "استعمالهم لفظة راح بمعنى سارع وخف، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة)[75]، أي من خف إليها، إذ لا يجوز إتيانها آخر النهار"[76] .

28- وعن (أخ وحس) يقول الحريري: "ومن العرب من يقول في هذا المعنى حس كما جاء في بعض الأخبار أن طلحة رضي الله عنه لما أصيبت أصبعه يوم أحد قال حس، فلما بلغت كلمته النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لولا أن طلحة قال حس لطار مع الملائكة) [77]، ومن كلامهم ضرب فلان فما قال حس ولا بس ومنهم من ينونها"[78].

29، 30- يقول الحريري في استخدام عيلة في كلام العرب: "ويقولون كثرت عيلة فلان إشارة إلى عياله، فيخطئون فيه لأن العيلة هي الفقر...، في الحديث: (لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس)[79]...، ومنه الخبر: (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)،[80] وفي كلام بعض العرب: والله لقد علت حتى علت...، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (وإن من القول عيالاً) [81] فمعناه أن من الحديث ما يستقل السامع أن يعرض عليه، ويستشق الإنصات إليه" [82].

31- وفي تسمية العرب للبيضاء حمراء قال الحريري: "والعرب تسمي البيضاء حمراء كما تسمي السوداء خضراء، وفي الأخبار المأثورة أنه -عليه السلام- كان يسمي عائشة -رضي الله عنها- الحميراء[83]، وأما قولهم الحسن أحمر فمعناه أنه لا يكتسب ما فيه الجمال إلا بتحمل مشقة يحمار منها وجهه"[84].

32- وفي الفرق بين البضع والنيف يقول الحريري: "وأما البضع فأكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث إلى العشر، وقيل بل هو ما دون نصف العقد....، وقد أثر القول الأول إلى النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى: (وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) سورة الروم آية 3، 4....، ثم أتي النبي صلى الله عليه وسلم فسأله: كم البضع؟ ، فقال: (ما بين الثلاثة إلى العشرة)[85] ، فأخبره بما خاطر به أبي بن خلف..."[86].

33 ،34- وفي الفرق بين يلهو ويلهي قال الحريري: "قولهم للمعرض عنك هو يلهو عن شغلي، ووجه الكلام يلهي، ...، ومنه الحديث: (إذا استأثر الله بشيء فاله عنه)[87] ،

وجاء في الأثر أيضاً (إذا وجدت البلل بعد الوضوء فاله عنه)[88] أي أعرض عنه"[89].

35- وفي جرًا التي بمعنى جريرة قال الحريري: "ويقولون فعلته مجراك فيحيلونه في بنيته ويحرفونه عن صيغته؛ لأن كلام العرب: فعلته من جرَّاك، وفي الحديث (أن امرأة دخلت النار من جرًا هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)[90] ، ومعنى قولهم فعلته من جراك أي من جريرتك"[91].

36- وفي تخطئة من كتب (القريص) بالصاد يقول الحريري: "ويقولون لما يجمد من فرط البرد قريص بالصاد فيوهمون فيه....، والصواب أن يقال فيه قريس بالسين؛ لاشتقاقه من القرس وهو البرد، ومنه الحديث: (قرسوا الماء في الشنان)[92] أي بردوه"[93].

37- وفي لغة حمير التي تجعل آلة التعريف (أم) قال: "فيقولون طاب أم ضربُ أي طاب الضرب، وجاء في الآثار فيما رواه النمر بن تولب أنه صلى الله عليه وسلم نطق بهذه اللغة في قوله: (ليس من امْبِرِّ امْصِيَامُ في امْسَفَر)[94] ، يريد ليس من البر الصيام في سفر"[95].

38- وفي استعمال كلمة (بهيم) قال الحريري: "ومن هذا توهمهم أن البهيم نعت يختص بالأسود؛ لاستعمالهم ليل بهيم، وليس كذلك بل البهيم اللون الخالص الذي لا يخالطه لون آخر...، وجاء في الآثار: (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة بهماً)[96] أي على صفة واحدة من صحة الأجساد، والسلامة من الآفات "[97].

النتائج والتوصيات

بعد هذه الجولة المتواضعة مع درة الغواص أود أن أسجل بعضاً من النتائج والتوصيات التي رصدتها علها تلخص ما فات، وتكون معلماً لما هو آت، ومن هذه الملاحظات:

- اعتمد الحريري على السماع كثيراً حتى جعله عمدة الأصول في الاستدلال على المسائل اللغوية، وكان يبدأ بالقرآن الكريم، ووجدته مكثراً منه بشكل ملحوظ، ثم يثنّي بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بكلام العرب شعراً ونثراً

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

- يقبل الحريري كل ما أثر عن العرب وسمع من كلامها، ويقيس عليه، وما لم يرد ولم يسمع من كلامهم طرحه ولم يقبل به واعتبره وهماً تلبس به حتى الكبراء من اللغويين والكتاب.
- إكثار الحريري من الاستشهاد بالقرآن، وكذلك بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- يعد مخالفة لما كان عليه السابقون من توجس واحتراس وتحرز.
- استشهد الحريري في درة الغواص بأربعين حديثاً من الأحاديث النبوية، اثنان منها جاءا في سياق عام لا استدلال فيه، والبقية أتى بها احتجاجاً واستدلالاً في تصويبه لأخطاء الخواص وهذا عدد ليس بقليل إذا ما قيس بحجم الكتاب، وكذلك بنسبة الشواهد الأخري.
- بعض الأحاديث التي احتج بها جاءت مخالفة للرواية التي ذكرت في كتب الحديث ولكن من غير أن يلوى عنق النص ليوافق القاعدة، بل توهماً ونسياناً، لا تعمداً واستحساناً.
- الحريري يأتي بالرواية غير المشهورة من الحديث؛ ليحتج بها على تصويب كلمة، ويترك الرواية الصحيحة لأنها لا تصلح كشاهد على المسألة التي يريد التدليل عليها.
- احتج الحريري بأحاديث أكثرها في ضعيفة الإسناد، كما رأينا في تخريج الأحاديث، وهذا الذي تذرع به الرافضون الاحتجاجَ بالحديث، ويشفع للحريري أنه عالم لغة، وربما كان حظه من علم الرواية والدراية ضئيلاً، وقد ذكرت في ثنايا البحث أنه استدل بمثل جاهلي عند العرب ونسبه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم إن الحديث عند الاحتجاج به، ولو كان ضعيفاً، فإنه قد عُزز بآية أو أكثر، وببعض أبيات من كلام العرب، وبشيء من نثرهم وحكمهم وأقوالهم، وهذا كله يشد أزر الحديث، بخلاف الاعتماد عليه فقط دون غيره من فروع السماع.
- كتاب درة الغواص كتاب فيه فوائد نضيدة، وفرائد عديدة، يحتاجها كل لغوي، وهو ميدان خصيب الدراسات، يجد فيه طالب العلم بغيته، وينعش مهجته.

هذا وإن كان من توفيق وإحسان، وحسن أداء وبيان، فمن الله ذي الفضل والامتنان، وإن كان من قصور ونقصان، فمن نفسي ومن الشيطان، وأعوذ بالله من الخذلان، وأسأله العفو والغفران، والرحمة والرضوان، ومصاحبة نبيه العدنان، في روضات الجنان، والحمد لله في كل آن.

الهوامش:

(1) انظر ترجمته في : الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط3، 1985م، ص 278 – 283، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 227/3.

(2) الزركشي، الأعلام 177/5

(3) الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمد الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1406هـ، 1986م، 53/4.

(4) المرجع السابق، 52/4.

(5) الأعلام 177/5.

(6) ينظر:الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق محمد الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط1، 2003م، ص11

(7) ينظر: وجدي غالي، معجم المعجمات العربية، تقديم متري عبد المسيح، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1، 1993م، ص30.

(8) ينظر: أحمد قدور، مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996م، ص58.

(9) ينظر: الحريري، شرح ملحة الإعراب، تحقيق فائز فارس، جامعة اليرموك، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1991م، ص24.

(10) ينظر: الفيروزابادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ، 2005م، (درر) ص338.

(11) ينظر: منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، منشأة معارف بالإسكندرية، ط1، 1998م، ص42.

(12) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشئون الثقافية العامة، ط4، 1999م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (126/1).

(13) محمد سالم صالح، أصول النحو، دراسة في فكر ابن الأنباري، دار السلام، ط1، 1427هـ، ص151.

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

(14) الأنباري، أبو البركات، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر، ص8.

(15) السيوطي، جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق محمد حسن اسماعيل الشافعي، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص2.

(16) ينظر: عصام عيد، أصول النحو عند السيوطي بين النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، ص35.

(17) ينظر: أحمد أمين، ضحى الاسلام، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، (221/2).

(18) عبد العال سالم مكرم، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1413هـ، 1993م، ص2.

(19) السيوطي، جلال الدين، الاقتراح، ص2.

(20) المرجع السابق، ص54.

(21) ينظر: عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط4، 1418هـ، 1997م، (12/1).

(22) محمود مغالسة، أبحاث في اللغة و النحو و القراءات، دار البشير، عمان، ط1، 2002م ص 14، 15.

(23) محمد سالم صالح، أصول النحو، دراسة في فكر الأنباري، ص246.

(24) السامرائي، ابن جني النحوي، رسالة ماجستير، دار النذير، 1389هـ، 1969م، ص134.

(25) ابن حبان، الصحيح، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م، (465/9)،حديث 4157، وسنده صحيح صححه الألباني.

(26) الحريري، درة الغواص، ص3.

(27) العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس (83/1)، والرواية فيه اختلاف في اللفظ، والكتاب لم يحقق.

(28) الحريري، درة الغواص، ص3.

(29) البخاري، الصحيح، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، (27/7) حديث 5189، و مسلم، الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، (1896/4) حديث 2448.

(30) الحريري، درة الغواص، ص3.

(31) أبو داود، السنن، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (208/4) حديث 4635، وسنده صحيح، والرواية (أيكم رأى رؤيا)

(32) الحريري، درة الغواص، ص6.

(33) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1416هـ، 1996م، ص35، والحديث غير موجود في كتب الحديث المعتمدة، ووجدته مستعملاً بكثرة عند الشيعة.

(34) الحريري، درة الغواص، ص11.

(35) الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن محمد وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، (336/7)، حديث 7661، والحديث عن جابر وليس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده ضعف.

(36) الحريري، درة الغواص، ص13.

(37) ليس بحديث ولكنه من كلام الخليل رحمه الله، انظر: العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (227/3).

(38) الحريري، درة الغواص، ص13.

(39) الدارامي، السنن، تحقيق فواز زمرلي وخالد العلمي،دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ، (806/2)، حديث 1303، واسناده صحيح.

(40) أبو القاسم ابن نصر،الفوائد، تحقيق أبي عبد الله حمزة الجزائري، مكتبة دار النصيحة، دار المدينة النبوية، ط1، 1428هـ، 2007م، ص97، حديث 98، وسنده ضعيف جداً.

(41) الحريري، درة الغواص، ص17.

(42) ابن ماجه، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي، (502/1)، حديث 1578، وسنده ضعيف.

(43) عبد الرازق الصنعاني، المصنف، (336/4)، حديث 7986، وأبو داود، السنن (235/4)، حديث 4737، وإسناده صحيح.

(44) ليس حديثاً؛ ولكنه من أمثال الجاهلية. ينظر: ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ط1، 1982م، ص695.

(45) الحريري، درة الغواص، ص25.

(46) عبد الرازق الصنعاني، المصنف، (460/4)، حديث 8455، ورواته ثقات.

(47) الحريري، درة الغواص، ص25.

(48) الدارامي، السنن، (1387/3)، حديث 2216، وإسناده صحيح.

(49) الحريري، درة الغواص، ص25.

(50) ابن حكمون القضاعي، مسند الشهاب، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986م، (185/2)، حديث 1151، والحديث اسناده منقطع.

(51) الحريري، درة الغواص، ص32.

(52) أبو يعلي الموصلي، المسند، تحقيق إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، ط1، 1407ه، (341/4)، حديث 2456، وإسناده ضعيف.

(53) الحريري، درة الغواص، ص38، 39.

(54) ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، ص116، حديث 383، من حديث عبد الله بن عمرو، على اختلاف في الرواية، وسنده حسن.

(55) الحريري، درة الغواص، ص39.

(56) الشافعي، المسند، تحقيق يوسف الحسني وعزت الحسيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1954م، (63/1)، حديث185.

(57) الحريري، درة الغواص، ص42.

(58) الدارامي، السنن (1875/3)، حديث 2880، وإسناده حسن.

(59) البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق عبد العلي حامد ومختار الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1423ه، 2003م، (475/9)، حديث 6984، وإسناده فيه ضعف.

(60) الحريري، درة الغواص، ص45.

(61) ابن حجر، الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس، ص476، حديث 4960، مخطوط.

(62) الحريري، درة الغواص، ص51.

(63) الآبنوسي، مشيخة الآبنوسي، تحقيق خليل حسن حمادة، جامعة الملك سعود، قسم الدراسات الإسلامية، ط1، 1421ه، (2/2)، حديث 120، من حديث عائشة بلفظ (إن الله عز وجل ليبغض الولاة الركاكة)"

(64) الحريري، درة الغواص، ص52.

(65) ابن جارود، المنتقى، تحقيق عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ط1، 1988م، ص249، حديث 996، وأبو يعلى الموصلي، المسند، ص194، حديث 228، وإسناده صحيح.

(66) الحريري، درة الغواص، ص55.

(67) السيوطي جلال الدين، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود الرياض، ص70، حديث 81، والحديث ضعيف غير مشهور.

(68) الحريري، درة الغواص، ص59.

(69) الترمذي، السنن، تحقيق أحمد شاكر ومحمد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م، (30/3)، حديث 638ـــ صححه الألباني.

(70) الحريري، درة الغواص، ص60.

(71) البخاري، الصحيح، (68/3)، حديث 2134.

(72) الحريري، درة الغواص، ص68.
(73) الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، (50/18)، حديث 90، والرواية (تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة)، والحديث في إسناده ضعف.
(74) الحريري، درة الغواص، ص69.
(75) الإمام مالك، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1406هـ، 1985م، (139/2)، حديث 334، وإسناده صحيح.
(76) الحريري، درة الغواص، ص73.
(77) أبو نعيم الأصبهاني، فضائل الخلفاء الراشدين، ص102، حديث 106، وقد ورد بتصرف، والرواية الأصلية (لو قلت باسم الله لطارت بك الملائكة والناس ينظرون إليك)، وفي إسناده ضعف.
(78) الحريري، درة الغواص، ص74.
(79) البخاري، الصحيح (3/4)، حديث 2742.
(80) والحديث مركب من روايتين، الأولى:(ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك)، رواه مسلم في الصحيح (692/2)، حديث 997، والثانية: (وابدأ بمن تعول)، رواه البخاري في الصحيح (112/2)، حديث 1426.
(81) أبو داود، السنن (303/4)، حديث 5012، وضعفه الألباني.
(82) الحريري، درة الغواص، ص78.
(83) ابن طاهر الصديقي الفتني، تذكرة الموضوعات، إدارة الطباعة المنيرية، ط1، 1343هـ، ص100، ونص الحديث (خذوا شطر دينكم عن الحميراء)، الحديث موضوع.
(84) الحريري ، درة الغواص، ص82، 83.
(85) الترمذي، السنن (344/5)، حديث 3194، والحديث حسن.
(86) الحريري، درة الغواص، ص85.
(87) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة، بجوار محافظة مصر، ط1، 1394هـ، 1974م، (326/5)
(88) لم أعثر على هذا الحديث في كتب الحديث المعتمدة عند أهل العلم.
(89) الحريري، درة الغواص، ص85.
(90) البيهقي، السنن الكبرى (14/8)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ، 2003م، حديث 16235.
(91) الحريري، درة الغواص، ص85.

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

(92) ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والأخبار، تحقيق سعيد اللحام، مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر، (63/5)، حديث 23724، وهو مرسل

(93) الحريري، درة الغواص، 89.

(94) الطحاوي، شرح معاني الآثار، تحقيق محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق ويوسف عبد الرحمن المرعشل، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1994م، (63/2)، حديث 3213.

(95) الحريري، درة الغواص، ص90،91.

(96) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م، (618/4)، حديث 8715، إسناده حسن.

(97) الحريري، درة الغواص، ص98.

*** *** ***